البوليس

التحقيقات العدلية

وظيفة قاضي التحقيق

٣

على المحقق ان يضع نصب عينيه التوفيق فيما يقوم به من التحقيق لاظهار حقائق الدعوى والمسائل التي يتولى رؤيتها حتى يتمكن من القيام بحقوق وظيفته ولا يتأتى له ذلك الا باشتغاله على العمل بحزم ونشاط والا يبقى امام فروض وظيفته ووجبات مأموريته كالآلة الصماء يقبل الاوراق ويحيلها الى مراجعها دون ان يحلل حقيقتها ويميط عن اسرارها اللثام. نحن لا ننكر ان التوفيق الى ذلك لا يرافق المستحق دوماً لان الامر بحقائق الامور لا يتبع اصولاً واحدة ولا نهائي اذا قلنا ان الوصول الى كشف اسرار القضايا المعقدة هو من الاهمية بمكان فذلك يحملنا على ان نأخذ على عاتق مسؤولية واقعي التحقيق ان يكون ساهراً على وظيفته متفانياً في سبيلها وان يجعل تمحيص الامور وجلاء الغامض منها شغله الشاغل وان يطلب في عمله الشاق الليل والنهار والا يدع للملل والتعب سبيلاً الى نفسه ويحسن ان يكون المحقق من ذوي الامزجة العصبية. ثم ان قضية الاشتغال بالتحقيق لا يمكن ان تكون بحسب الدرجات ولا يعقل تسييرها على وتيرة واحدة اي ضمن دائرة محدودة تابعة لاسلوب رتب قبل مباشرة العمل اذ ان المحقق يكون دائماً عرضة لحوادث فجائية لم يكن ليتنظرها او تخطر في باله فيتحتم عليه واجبه هذه استعمال الحكمة والدراية والتوسل بجميع الاسباب المعقولة الفعالة ليستطيع التغلب في شؤون المسائل الغامضة ويتسنى له حل رموزها فيفحص كلا منها على حدة. لذلك من العبث ان ينظر نجزء من العمل المكلف به ويترك الباقي. فهو في هذا الوقف امام مسألتين: الاولى ان يتوفق بعمله لاظهار حقيقة المسألة وشرحها بجذافيرها والثانية:

ان يحقق بسعيه وعند نهاية ولا يمل ابداً وعلى المحقق ان يتوخى في البداءة محل سعيه الابتعاد عن مواطن الضوضاء حتى لا تشتت الذهن والسكينة والابتعاد من كل ما من شأنه نشر الاشاعات والتهيجات ويطلب منه ان يحضر جميع حواسه في نقطة واحدة كمعرفة الجاني او المجرم . وما التوفيق الغالب سوى وضع يده على الحادثة الجرمية بما يمكن من السرعة والاحاطة بكافة دقائقها وبذل الارادة والعزم الاكيد في سبيل اظهار خفاياها وكشف الحجاب عن غوامضها الجرمية مع الغاء كل الراحة والاقلال على التاعب بالصحة وطول الاناة والاقتصار عن الاكتفاء بما هو في عمل عادي تماشت في ايضاح القضية الى يترتب عليه الخيبة على التعقيب الى النهاية وفي كل لحظة يقول لنفسه — سأخطو خطوة جديدة الى الامام وان لا يعتقد بعدم امكان التقدم في التحقيق اذ ما من مجال على وجه الارض لا ويستحيل الى الامكان امام قوة السعي الحقيقية والمحقق على مصلحة عمله كان يقوم في درسه التي طرحت بين يديه مسألة يأخذ ما يتيسر له الوقوف عليه من المعلومات طفيفة كانت او عديمة القيمة او كثيرة فهو ينهج حسب ما اوتيه من العلم والفهم بصورة منسقة ومنظمة حتى لا يتسنى عليه امرها ويصعب حلها ولا يغرب عن البال ان المحقق في كل زمن ومكان اعداء يحاول لاخفاق مساعيه وتضليل او شهود الحادثة حتى والدلائل الطبيعية . كل هؤلاء الاعداء فلا يألون جهداً في افساد الطرق التي يتخذها في التحقيق المظلمون والتي يسير الى نفسه يقوله سوف اتخلص من هذا المأزق الحرج اذا ارت على خطة الباطل وما اوعر الطريق

الصعوبة شيء والفشل شيء آخر فلهذه الحقيقة يجب ان تكون نواس اعمال المحقق فلا يستولي عليه الوهن ويعتقد ان حل اعقد الاعمال لا يكون غير ممكن ويعلم ان السعي ثبات وصبر يبلغ منتهاه ويوصله الى حادة الحق والتوفيق ولا ينسى له احياء اصول ديوان التفتيش القديم . التكريميون انكا لا نعرف ان الثبات والاجتهاد ركنان عظيمان من اركان الوسائط التي تؤدي الى نجاح التحقيق وهكذا نرى المحقق على الاكثر عبقرياً في ابتكار الافكار مكباً على درس المسائل التي امامه فعليه الحقوق حتى والتفاصيل الرسمية يوصيه بالقيام الاتقان باصباب الجليل والمثابرة دون التظاهر بالمداخلة وكشف الحوادث بالاستعمال الخير والشدة .

اما اول من آمن باصالة هذه الاقوال واطلق على العدل وقواعد الانسانية ولكن

هل تصيب دائماً النظريات وما هي النتائج الحقيقية التي تحصل من تطبيقها ؟ . العلم ومسايرة الفرد اذا جعلناهما دستورنا في كل حين نضطر لهضم حقوق البعض ولا نبالي اذ ذاك حقوق الهيئة الاجتماعية ايضاً فلا يجدر بنا ان نتبصر بعاقبة الامور قبل التزام جانب الحلم ؟ . والحقيقة انا اذا توصلنا الى حل بعض المسائل وتوفقنا لكشف الغامض منها فليس ذلك لاتباعنا وصية اساتذتنا علماء الحقوق بل نحن مدينون بذلك لنيات الحقوق الحسنة والتهازه الفرص المتداخلة ورجوعه الى استعمال الاصول القديمة لان عدم المداخلة عند سنوح الفرصة تورث الخلل وعدم الانتظام في مجرى التحقيق وبناء على ما تقدم ليس لدينا الآن سوى طريقة واحدة وهي التي تمهد للمحقق سبل النجاح . الانكباب على العمل بكل قوة ونشاط وعدم الاستسلام لليأس والوهن

وهل يتمكن المحقق من اكتشاف محل الجاني مستدلا عليه بالآثار التي رسمتها اقدامه مكتفياً بالاستناد الى الوقوعات الثابتة لديه ؟ . وهل يمكنه الاقتناع بان الظنين هو الذي اقترف ذلك الجرم او هل يستطيع الجزم بان المسألة وتفرعاتها البسيطة والجزائية هي كما تراءت له . ان الاوراق الاستنطاقية التي تتعلق على الفن او الاصول العلمية هي الدر من الكبريت الاحمر . والعثور على قاض يجمع في ذاته الصفات والخبرات الفطرية والمكتسبة غير سهل ومن اين لنا ذلك الرجل الذي يقف امام هيئة المحاكمة فيداقع عن سير تحقيقاته ويشرح فلسفتها والمواد العلمية التي لا يمكن دحضها والاعتراض عليها ان اكثر المستنطقين لا يراعون الانتظام والترتيب في تنظيم الاسئلة وترتيب التحقيقات فيحشرون المعلومات التي تصل اليهم في سجلاتهم ويعضها فوق بعض كما اكياس ذخيرة وبعد ان يطرحوا الى هذه الاكياس المكدسة ويحدروا في امر الاسئلة والاجوبة يظنون ان مهمتهم قد انتهت ولعمري اذا وفق المحقق بتطبيق اصوله هذه السقيمة للوصول الى غايته يجب عليه ان يحمد الاتفاق الذي اتاله هذا الظفر لانه اولا بعض الكلمات التي تصدر عفواً او سهواً عن المتهم او الشهود ومعاونة الفرصة ما ييسر لذلك المحقق ان يعمل عملاً او يكتشف امراً